الفصل الثالث
الإنسان والغيب

مقدمة

إن الاستغراب من بنى جنس الإنسان يصل لمادة مما يشعر به الإنسان من أنه سيد الكون وأنه بلغ بالتكنولوجيا الكاذبة ما لم يصل له أحد، وأنه أخترق العلم من أوسع أبوابه، ولكن كل خطوة فى هذا التقدم لتقليل الغيب الذى يحيط به، ويجاهر بأنه لا يخاف وأنه بالحسابات والأجهزة التكنولوجية والكمبيوتر أصبح يتقدم على الطبيعة بما تحتوى من أشياء مادية وغيبية.

فلسفة الغيب

الغيب وجمعه غيوب، وغيابة كل شيءهو " قعره". تعريف الغيب في الاصطلاح، ما غاب عن الحواس. فالميزة الأولى للمتقين هي الإيمان بالغيب، فهو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس. وهو إما غيب مطلق أو غيب نسبى والذى ينقسم لغيب الماضى و غيب الحاضر أو غيب المستقبل.

وينقسم الغَيبُ إلى قسمين:

الغيب المُطلق: و هو الغيب الذي يستحيل الإطلاع عليه بواسطة الحواس أبداً، و يمتنع إدراكه بالآلات و الأدوات المادية كذات الله سبحانه و تعالى و صفاته و غيرها، وهذا الغيب المطلق لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه و تعالى.

الغيب النسبي: و هو الغيب الذي يتفاوت إمكان الإطلاع عليه بحسب الظروف و الأفراد و الأزمان، فقد يكون غيباً بالنسبة لإنسان و لا يكون كذلك لإنسان آخر، أو يكون غيباً في زمان دون زمان، و لا يستحيل الإطلاع على هذا القسم من الغيب إذا توفرت الأسباب و الأدوات اللازمة لذلك فيصبح محسوساً بعد أن كان غيباً .

ومن أمثلة ذلك: أن أذن الإنسان غير قادرة على التقاط الأصوات التي تقل عدد (ذبذباتها: اهتزازاتها) عن ٢٠ اهتزازة في الثانية (دون سمعية) و لا تلك التي تزيد اهتزازتها عن ٢٠٠٠٠ اهتزازة في الثانية (فوق سمعية) في حين تستطيع كثير من الحيوانات سماع معظم تلك الأصوات وتمييزها، فتكون هذه الأصوات بالنسبة إلى الإنسان غيباً و لا تكون بالنسبة إلى تلك الحيوانات غيباً كما هو واضح .

نسبية الغيب

ولا بُدَّ من التنبيه هنا على أن مقصودنا من الغيب النسبي، نسبيته بالنسبة إلى الإنسان، أو بالنسبة للسن، فمشهود الأب هو غيب للأبن والعكس صحيح، أما بالنسبة إلى الله عَزَّ و جَلَّ فالأشياء كلها حاضرة لديه، و الماضي و الحال و المستقبل عنده سواسيه. بل مكان المشهود هو غيب الغير حضور، فالكعبة هى غيب الغير حاضر للحج فى عام ما. بل يومك التالى وزوجتك وأبنك هم غيبك الشخصى.

عصر التكنولوجيا هو عصر الغيب و العلم ذاته هو اعتراف بليغ بالغيب. والدليل لا يوجد أحد من هؤلاء العلماء رأى رؤية العين الكهرباء ولكن نحن نعرف أن الكهرباء هى موجات. إننا نتكلم عن الكهرباء و لا نعرف عنها إلا آثارها من حرارة و ضوء و مغناطيسية و حركة.. أما الكهرباء ذاتها فهي غيب. نتكلم عن الإلكترون و نقيم صناعات إلكترونية و لا نعرف ما هو الإلكترون فهو غيب، ونطلق الموجة اللاسلكية و نستقبلها و لا نعلم عن كنهها شيئا ولماذا هى ثابته على المستوى العالمى، و هي بالنسبة لنا غيب. بل إن الجاذبية التي تمسك بالأرض و الشمس و الكواكب في أفلاكها– و هي أولى البداهات – هي ذروة الغيب. وتكمن عظمة خلق الله فى غيب الإنسان وهى الروح، ويكمن غيب القرآن فى الكلمات التامات مثل "الم" فهل وصل آى شخص لتفسيرها ؟

إن الغيب هو خلق الله وأمرنا أن نؤمن به، فهو في الحقيقة النور الأسطع للشهود.

فاللّب أهم من القشرة، ومن أراد شراء بضاعة ما فهو يهتم بتحديد حقيقة هذه البضاعة دون الاكتفاء أو الاهتمام بما يعكسه مظهرها. وعلى الرغم من أنّ ضوء الشمس ليس هو الشمس، ولكنه ناتج عن التفاعلات الذرية الحادثة باستمرار في الشمس، ولولا هذه التفاعلات لما أضاءت الشمس ولو للحظة واحدة وإن غيب الإنسان ليس حركته أو سكنته، وإنما الغيب فيه كامن في الروح فلا قلب ينبض ولا رئة تتنفس فى الشخص المنتقل أو المتوفى. وإذا أمعنا النظر في حقيقة الإنسان لوجدنا أن ماكينه الإنسان لا تتحرك ولا تؤدى وظيفتها إلا ببنزين الروح لها، فالقدرة الكامنة في الروح تقف وراءالإنسان المشهود، ولو لم تكن الإرادة الإلهية في إيجاد الروح والقدرة لدى الإنسان، لأصبح هذا الأخير كالجماد أو هو أعجز من الجماد، إن صحّ التعبير عن وجود جمادٍ في هذا الكون العجيب!

إذن فالحاضر هو الظل لغيب الماضى والمستقبل، بل ولا يتواجد الغيب إلا بوجود الحاضر، ولا يتواجد الغيب إلا بوجود الشاهد. بل أن الإنسان هو دالة لوجود غيب الروح، فالمشهود أو الظاهر هو دلالة الغائب أو الغيب. فالمرض هو دالة الميكروبات الغير مرئية أو الغيبية للإنسان. والسؤال أين تقع الطاقة الإيجابية أو الإرادة الحديدية فى الإنسان، أهى فى عالم المادة أم عالم الغيب؟

هل يستطيع العقل أن يرفض الغيب؟

وعجز العقل عن إدراك حقيقة الألوهية ليس أمرا غريبا لأن العقل جزء من الكون، والجزء لا يحيط بالكل بل قد يستدل عليه ببعض آثاره. فالحقيقة العقلية لا يتجاوز علمها الكائنات التي تمر بها عبر الحواس والسنن والقوانين المترتبة عنها سواء كانت طبيعية أو اقتصادية أو اجتماعية .ولو كان كلّ ما غاب عن حسك وهماً يجافي العلم ويناقض مكانة العقل، إذن لكانت سائر دراساتنا التاريخية وهماً باطلا، ولكانت سائر أحكامنا على المستقبل وجميع توقعاتنا الغيبية فيه خرافة يتنزه عنها العقل! وهكذا فإن أكثر المشكلات تعقيداً تلك التي

واجهها العقل، والتي كانت شديدة الاتصال بالغيب ذلك العالم غير المنظور، والذي كثرت فيه هزائم العقل لأنه جاوز الحدود. وكثير من الفلاسفة بذلوا كل ما يملكون من ذكاء ثم كانت خاتمة المطاف الإقرار بالعجز عن إدراك ذلك الخضم المليء بالأسرار الذي لا ينفذ العقل إلى اختراق حجبه. فالإنسان هو مخير فيما يعلم، مسير فيما لا يعلم.

لماذا لم يكشف اللّه لنا الغيب؟

لم يكشف الله الغيب امتحاناً منه لنا وابتلاء. ولو كشفه لسقط أمر التكليف ولفقدت الحياة سرها وبطلت الحكمة وانتفت المقاصد العامة للدين. ولو كشف الله لنا الغيب لخلع الناس صفات الإقبال على العمل، بل إن بعضهم يركن إلى الكسل والخنوع لأن قدره قد كشف له، فيعرف رزقه وأجله؛ وقد يرتكب الجرائم بناء على هذا الاطلاع، وقد يفعل ما لا ينسجم مع الحياة الإنسانية التي رسمها الله بحكمته وسطرها وفق إرادته وقدرته وعلمه سبحانه وتعالى. ثم إن العلم بالغيب عن طريق إدراك الإنسان بحسه أو عقله غير متحقق نظرا لكون عالم الغيب فوق طاقات الإدراك الحسي والعقلي، وهما وسيلتان للإدراك الإنساني وجدتا لتتعاملا مع كثير من مظاهر الكون المادي المتفق مع الإنسان في ماديته وعناصره، أي أن الإدراك الحسي يناسب فقط الكون المادي.

المؤمن بالغيب هو ذلك المؤمن بقدرة الله المطلقة، المصدق للرسل في كل ما جاؤوا به ونطقوا به، فهو في هدوء وانسجام مع ما جاء به الدين من الغيبيات، جاهد وفكر وصدق ثم آمن. ومنطق الإيمان أعطاه الراحة النفسية والاطمئنان الدائم واليقين الحقيقي، وهو دليل على قوة الثقة بالله. وسبب ضعف الإيمان بالغيب في عالَمنا المعاصر المعاصر يعود أساسا إلى شيوع الحضارة المادية بما فيها من فكر لا يؤمن إلا بما تدل عليه التجربة، ولا يقدس إلا هذا المنهج.

ولكن هل الغيب موجود؟ والحقيقة المدركة هو نعم ولكن لمحدودية أدراكنا لقبناه بالغيب، إذا فالغيب النسبى هو الغيب عن الحواس والقلب والعقل، ويكون الغيب هو من غاب

عنك، وإن تواجد بصفته الديناميكية المستمرة لحالة الغيب. ويكون الغيب لغير المدرك وليس لحالة الغيب نفسها. وبالتالى فالقصور فى الإدراك هو نوع من أسباب الإيمان وطلب السمو. القضية بسيطة جداً، أنت أمام جدار، وراء الجدار دخان، والقاعدة "لا دخان بلا نار" فإذا ذهبت إلى خلف الجدار رأيت النار بعينك، "ليس مع العين أين"، لا نريد دليلاً. أما إذا ابتعدت عن الجدار ورأيت الدخان، الآن يحكم عقلك من أثر النار على وجود النار. تقول: لا دخان بلا نار، ما دام هناك دخان إذاً يوجد نار، مع أنَّك لم ترَ النار. هذا أحد أنواع الغيوب، غيبٌ له آثار، شيءٌ غاب عنك وله آثار، فوسيلة إدراكه العقل. يمكن أن نسمي هذا الغيب: بالغيب الشهودي، الغيب الذي له في عالم الشهود آثار.

ومن أهم مميزات خلق الغيب هو الرحمة بالإنسان فمثلاً نحن لا نرى الملكين: رقيب وعتيد اللذين يلازماننا، ولا الملائكة السيّارين الذين يلتمسون حِلَقَ الذِّكْرِ، ولا كثيرا ممن يحيط بنا من الجن، وكل يوم يدرك الإنسان أنه قاصر القوى، ضعيف في بصره وسمعه وقوته... وكل هذا من الغيب الذي نؤمن به وهذا رحمة بنا من الخالق فلو رأينا حولنا من جن وملائكة ومخلوقات سفلية لما انتقالنا من مكان لآخر من شدة الزحام. وقد تبقى العين المحبوسة في المسموح حتى يمدد لها في اللامسموح لترى جزءا منه، كما يحدث فى حالة الاحتضار. كما أن الله تعالى يريد أن يجنبنا الإشعاعات الضارة التي لا نراها فتؤذى العين.

انواع الغيب

دعونا نتأمل هذا المثال لشخصين: الأول يولد ويفتح عينيه ويستقبل الدنيا، والثاني يغمض عينيه للمرة الأخيرة ليودع هذه الدنيا. فلا الوليد الذي ولد استطاع أن يتدخل في ولادته، ولا الشخص الذي مات استطاع التدخل في موته. لأن الله وحده الذي يملك هذه المقدرة والقوة، يخلق من يشاء ويقبض روح من يشاء. وقد حمل المولود عند ولادته وهو عار تماماً إلا من بطانية لفوه بها بعد الولادة وضمته أمه، ولم يكن يدرك ما حوله، وقد بدء بالصراخ والبكاء

(نتيجة وخز الشيطان وميلاد النفس). وقد سمى وحمل الاسم طوال حياته بل وأخذ ما يفيد من الدولة والمجتمع ما يفيد اسمه وسنه (بطاقة تحقيق الشخصية)، بينما حمل الإنسان عند موته ولم يضمه إلا قبره وقد غسل وهو عار ولفه ذووه بالكفن ولم يدرك ماذا يحدث له. وقد أحطه أهله بالبكاء، ثم واروه في التراب، ثم وضعوا الشاهد يكتب عليه اسمه وتاريخ ميلاده وتاريخ وفاته، ولكى يؤذن لك بدخول باطن الأرض (تصريح الدفن) تسحب منك بطاقة تحقيق الشخصية، بمعنى يلغى وجودك المادى بين اطراف المجتمع.

والروح لها ثلاث حيوات منفصله أولها ما قبل الدخول للجسد وثانيها وهى فى الجسد (أثناء الحياة) وثالث حياة بعد الخروج من الجسد. ولكن النفس تولد بعد ميلاد الجسد وتستمر معه إلى وفاته وتبقى معه لفترة ثم تفترق لتكون لها حياتان فقط. ونأتى للجسد الذى يكون وعاء أحتواء يحيا حياة فانيه واحدة. والنفس هى فى الحقيقة الصندوق الأسود الذى سجل به كل وعى بل ولاوعى الشعور والحركات والنيات للجسم المادى، بل أن النفس تعتبر ذاتية الطاقة حيث أنها يحدث لهذه النفس أرتقاء ومكتسبات نتيجة الصدقات الجارية والدعاء المستمر لها فهى ذات صلة متصلة مع الجوانب المادية بالأرض ولا تنقطع عنها. ومن الغريب أن يبدأ نشأة الإنسان الحى بخلية مشتركة واحدة وتنتهى بحبة رملية أو طينية. وأحب أن أضيف أن أثناء النوم تخرج الروح كل يوم لربها وتبقى النفس فى حالة أتصال بحبل سرى فضى لاتترك الجسد وبالتالى فعملية موت جزئية تتم كل يوم أثناء النوم بجانب أن الإنسان يطرد ملايين الخلايا الميتة أثناء العرق وفرك الجلد، واللعاب، والدموح وخلايا الدم والبول. فعملية الموت والنشؤ تتم فى كل ثانية للجسد المادى دون تحكم من الإنسان (بصورة غيبية عن الإنسان).

والغيب النسبي هوما تمكن من معرفته أحد الأفراد أو الرسل بعد ان سمح الله له ومكنه بذلك بحسب الظروف أو الامكانيات.أما الغيب المطلق فهو ما اختص بمعرفته الله تعالى دون سواه واستحال على غيره من الأفراد حتى المنجمين و إن صدقوا. ولكن ليس هذا كل أنواع الغيب، فالغيب ممكن أن يكون غيباً مادياً وغيباً معنوياً أو دينياً، أو غيباً داخل الإنسان وغيباً

خارج الإنسان، غيباً ماضياً أو غيباً حاضرا، وقد يكون غيباً زمانياً أوغيباً مكانياً، فالغيب هو ما يغيب عما نمتلك من الحواس وملموس. وبعد هذا الغيب المحيط والملتف حول الإنسان عندما تناقش الإنسان يبدأ بتغيب أى غيب ويقول ناقشنى علمياً، بل أن العلمانيين يغيبون الغيب المطلق. ولكنى أقول لك عزيزى القارئ ونحن نحبوا سوياً داخل طيات هذه السطور وبين جنبات هذه الوريقات، إن الغيب غائب من فرط حضوره وكذا لقصور مداركنا عن الألمام به.

الغيب فى يوم الإنسان

الظاهر لنا هو أن قانون العمل وقانون الجهاد وقانون الاجتهاد للإنسان يرفعه ويزيد من ماله وسلطانه. ولكن دعنا عزيزى القارئ نشاهد سوياً يوماً عادياً لدى شخص ما. فالغيب لا ينتهي وكلما اطلعنا على جزء منه، كان هناك غيب أكبر، هكذا هو قانون الحياة. تعلم أننا ما علمنا إلا القليل، ولكن علينا أن نعمل بما تعلمنا وهو القليل، ولا نهمل ما تعلمناه. إن بعض الناس الذين يعتقدون أنهم يدافعون عن الإيمان فيقللون من قدر ما عَلِم الإنسان حتى يجعلوه ييأس مما علم، ويعتقد أنه طالما أنه قد علم القليل القليل فما معنى هذا القليل؟ ويعتقد أنه لا يساوي شيئا، وكيف يعمل بهذه القطرة؟ وماذا تفيد هذه القطرة، وهذه النقطة، وهذه الحبّة؟ حبّةٍ في صحراء شاسعة، ماذا تفعل هذه الحبة من الرمال؟ فهذه عدم استقامة، لأن هذه الحبة بالنسبة لله، هي حبة لا قيمة لها، ولكنها بالنسبة للإنسان هي بحر واسع يمكن أن يستفيد منه، ويمكن أن ينمو من خلاله .. من خلال ممارسته لما عَلِم، لذلك فنجد أن الفريق الآخر الذي يدافع عن العلم المادي ويرى فيه كل شيء، هو قد أصاب في جزئية وهى الاهتمام بما يعلم الإنسان، وأخطأ في جزئية أخرى أنه اعتقد بأنه بهذه الجزئية الصغيرة سوف يستغني عن إيمانه بالغيب.

إن البديهيات التى يقوم بها أى إنسان فى كل لحظة من حياته هى فى الحقيقة إيمان تام بقدرة الله فى صنع خلقه. فعندما يفتح الإنسان عينه من النوم فإن بامكان العين تعديل بؤرتها

بسرعة بين النقطة البعيدة والقريبة ويتحرك الإنسان بسرعة فى المساحة المتاحة فى حجرة النوم معتمداً أعتماد كلياً على قدرة العين وعلى يقينه بقدرة الخالق فى نفس اللحظة.

وحين يقوم الإنسان بالقيادة يعتمد على الوظائف الإرادية بصورة مباشرة دون مراجعة منه لحسابة المسافات أو الاجاهات. أنها أمور غيبية تتم ليس بتحكم منه إلا قليل جداً. فالصورة الذهنية التى يتم تحضيرها ومتابعتها أثناء القيادة لوعلم كيف يتعامل معها المخ لأصيب بالحيرة والاضطراب. ولكن كل شيء يتم بعمل مسح شامل فى لحظة وتغير المسافات بينه وبين العربات و الرصيف والمارة بل وبينه بين قرب وبعد الإشارة. أنها ملايين الصورة التى يتم اتخاذ القرار فيها وتعديلها دون تحكم منك، وبالتالى فإن مهاراتك فى القيادة تعتمد بصورة مستمرة على لاوعيك وليس على وعيك بصورة عامة. فمثلاً عندما تحب أن تدوس على دواسة الفرامل فإنك عزيزى القارئ لا تبحث عنها ولكن من تجاربك السابقة ومخزونك المكتسب تدوس مباشرة على الدواسة، وبالتالى فغيب اللحظة هو مدرك بلاوعيك. وبالتالى فمخزون اللاوعى والحركة اللإرادية هى إيمان بالغيب واليقين فى خلق الله. بل أن سلوك المحيط بك من أشياء متحركة (سائقيين ومارة) غيب بالنسبة لك وسلوك أنت بالنسبة لهم غيب.

ونأتى لشئ أخر فمن منا لم يدخل امتحانا وأنتظر النتيجة فالامتحان غيب نسبى حتى تدخل فيه وتتعامل معه، وكذا نتيجته غيب نسبى لحين ظهور النتيجة، ولكن لماذا نسبى وبسهولة يمكن القول إن هذا الغيب ... هو غيب عن الممتحنين فقط ولكن واضع الامتحان كان يعلمه قبل أن تطلع عليه. وبالتالى فهو معلوم لإشخاص وغيبى لإشخاص، وهكذا. وعندما تأتيك هدية فهى غيبية حتى ينفجر الساتر عنها بفتحك للعلبة وتعرف ما هى. إذن الغيب موجود فى حياتنا اليومية وفى أوقات كثيرة من أفعالنا. كما أن السلوك الإنسانى لزميلك فى العمل غيبى فقد يضحك فى وجك ولكنه ليس سعيد بتقلدك مناصب كبيرة أو العكس، فالسلوكيات لما يحيط بنا من أفراد داخل المجتمع الوظيفى أو الأسرى فى بعض الأحيان يكون غيباً بالنسبة لكل إنسان.

وكذلك فالكوارث الطبيعية، مثل البراكين والفيضانات و الأعاصير التى تحدث على الأرض هى صورة من صور الغيب التى تمس الإنسان فى حياته اليومية. وما تحت القشرة الأرضية من حمم نارية ومعادن ملتهبة هو غيب مستمر لا يعلم مداه إلا الخالق. وما داخل البحار والمحيطات السحيقة من كائنات مائية وبحرية هو غيب ولا نعرف منها إلا القليل. ومن الغريب أن الحياة المادية والتكنولجيا غيب .... نعم غيب فمن منا يعرف متى سيتم أكتشافه غداً وفى أى مجال. صحيح أن هناك مؤشرات ولكن الكشف عن حقيقة علمية حولنا يعنى وجود خطوات أخرى تنتظر الأكتشاف وبالتالى استمرار تغليف ما يحيط بنا من غيبا فى حالة مستمرة.

الميزان هو ميزان الإنسان في علاقته مع مفاهيمه بين الغيب والشهادة، وفي علاقته مع الناس تجليا لتعامله مع الله، مع خارجه، وتعامله مع الله في داخله، فيما أراد الله أن يتجلى به فيما يملك الإنسان، وفيما أراد أن يتجلى به فيما يملك الناس. ميزانه هو ميزان العدل الذي لا يفرط في أمره، في أمر وجوده، وفي أمر حياته، يؤمن بالإرادة الكلية تجريدا، ويؤمن بالإرادة الجزئية تقييدا، الإرادة الكلية هي إرادة الله في كل شيء.

الغيب محيط بعالم الشهود، كما السماء محيطة بالأرض، فأينما تذهب فوق البسيطة تجد السماء محيطة بك، وأينما تذهب في الحياة فلابد أن يحيط بك الغيب، شعرت بذلك أم لم تشعر. ومن عرف كيف يتعامل مع هذه الحقيقة المؤكدة، وكيف يتعايش مع الغيب، وكيف يؤمن بهذا الغيب، وكيف ينطلق منه، سيحقق أهدافه وتطلعاته في عالم الواقع والشهود، وسيتمكن من إقامة العدل والوصول الى الحرية والأمن وسائر الأهداف المشروعة الأخرى في الحياة. ومن جهل أو تجاهل هذه الحقيقة أو لم يعرف كيف يتعامل معها، فسيغرق– لا محالة– في ظلمات عالم الشهود ومتغيراته، ثم لن يخرج منها؛ إذ سيتحول إلى مجرد ضحية من ضحايا عالم الشهود ومتغيراته المحيطة به. إنّما مثل دور وتأثير الغيب على الإنسان كمثل دور وتأثير الأعصاب على الجوارح، فهي لا تتحرك ولا تشعر دون اتصالها بالأعصاب التي تأخذ وتؤدي

وظيفة نقل الأشارة الى المخّ.

علاقة الفعل بالفاعل

الأفعال لا تدرك فاعلها، ولا تدرك كل أفعاله، ولا تدرك مقاصده الذاتية من أفعاله. لذلك لا يصح أن يسأل الفعل فاعله ما هو مقصدك من إيجاد هذا الفعل؟ و مفهوم الغيب الذي يتعلق بالفاعل يستحيل اختراقه ودراسته لأنه انتقال من مستوى الفعل الذي نعيش فيه ويحكمنا إلى مستوى الفاعل وصفاته، وهو لا يخضع لذات مواصفات الفعل أو معاييره، بينما يخضع مفهوم الغيب الذي يتعلق بالفعل لمعايير ومواصفات الفعل الذي نحن جزء منه، وبالتالي يخضع للدراسة ويمكن اختراقه، وما كان غيباً يصير في عالم الشهادة. وما يدل على أن وجود الفاعل أشد ثبوتاً من الفعل ذاته رغم غياب ذات الفاعل عن الإدراك أو التصور، وظهور الفعل؛ مع قصور صفات الفعل عن صفات الفاعل التي أدت إلى استحالة إدراك الفعل لصفات الفاعل.

فمن يحاول أن ينفي شيئاً فهو يصدق بوجوده مسبقاً في نفسه، وإلا لما احتاج إلى نفيه، فمن المعلوم أن الإثبات يحتاج إلى برهان، ولذلك يُقال: إن كنت مُدَّعياً فالبينة، بينما النفي هو أمر تحصيل حاصل في الواقع لا يحتاج إلى برهان. انظر مثلاً لمسألة وجود كائنات فضائية عاقلة خارج الأرض، لا نطلب من الذي ينفيها أن يأتي ببرهان على ذلك، وإنما نطلب البرهان ممن يُثبتها، وإذا لم يثبتها بالبرهان، تخضع لمعيار المستحيل والممكن، فإن كانت من الممكنات، يقف العلم منها بصورة حيادية لا ينفيها ولا يثبتها،ويترك ذلك للدراسة تمهيدا للحسم مع الزمن. وبرهان إثبات وجود أمر، هو ذاته برهان على نفي النفي، وبالتالي لا يصح البحث عن برهان لنفي برهان الإثبات، فهذا عمل اعتباطي، ونتيجته الفشل سلفاً لبطلان عمله ابتداءً. وهنا لابد لى عزيزى القارئى أن أذكر أن الحرية فى الإيمان؛ لا للتصديق والإثبات؛ لأن التصديق أمر متعلق بالعقل، والعقل لا يملك القدرة على نفي تصديق الأمر الثابت؛ مثل مفهوم واحد زائد واحد يساوي اثنين، ولكن يملك الإنسان بإرادته أن يكفر أو يُكَذِّبَ ذلك الحكم

العقلي بسلوكه القولي أو الفعلي، ومن هذا الوجه صحت المقولة التي تقول:التصديق بوجود الله موقف عقلي فطري لازم، والإيمان به موقف أخلاقي .

فموجودية الشيء ليست مرهونة بإدراكه، بل هي موجودة سواء أدركها أو لم يدركها. فيجوز أن يكون من الموجودات ما لا يدرك أو لا يدركه بعض المدركين، فإن الإدراك ليس شرطا في الوجود، وإنما الوجود شرط الإدراك. وكلما زاد الإيمان بالغيب النسبى والغيب المطلق تزداد درجة إيمان الإنسان ووتزداد قدرة أدراكاته القاصرة، بل و تربية الشخصية المتوازنة السوية القادرة على تنمية نفسها ومجتمعها. وهنا لى وقفه بسيطة فالمدرك يمكن أن يكون غيبياً هل تتصور هذا عزيزى القارئى، نعم غيبى فمثلاً عندما ينفجر نجم على بعد ٥٠ ألف سنة ضوئية ونستطيع روئته على الأرض لا يعنى أن النجم قد انفجر الأن ولكن المكان والبعد قد يحيط المدرك بالغيب.

إن "العجز عن درك الإدراك إدراك" بمعنى ما كان العلمُ هو إدراكُ للمدَرك على ما هو عليه بذاته لذا فما امتنع إدراكه بمعيار الشريعة يكون العلم به عند التسليم بالعجز عن إدراكه. إن الإيمان بالغيب له ثلاثة مقامات هي:

- الإدراك الذهني، ويتم ذلك عن طريق التأمل في آيات الأنفس والآفاق.
- الاعتقاد الجازم: واليقين الثابت .
- الإذعان القلبي والانقياد الإرادي: المتمثل في الخضوع والطاعة لحكم الخالق.

الغيب والإنسان

مجموعة الطاقات البشرية كلها من روحية وعقلية وارادية تكمن فى القلب، وقلب القلب هو العقل، وقد جعل الخالق لقلوب خلقه مقامات ارتبطت درجات العلم ومراتبه بمقامات القلب أو الجهاز المتكامل. وقلب القلب يمثل المستوى العالي من مستويات التكامل الوجدانى

فى النفحة الربانية للإنسان. فالإنسان يرى حبيبه بقلبه ثم يركز معرفته بقلب قلبه وهو العقل. ويتصور أن هناك طبقات تعمل على ستر القلب وحجبه عن الحقيقة، وعلى الإنسان أن يكافح ليزيل هذه الحجب شيئا فشيئا حتى يرقى إلى حقيقة القلب. مقامات العابدين مثل الخوف والحب والشوق والزهد والتوكل والرضا لها غاية ومنتهى، وكل هذه الأشياء يحسها القلب ويدركها العقل. إن السعادة الداخلية والسلوك الإيجابى يعنى التوازن بين القلب والعقل بجميع المستويات والمقامات المدركة والموروثة للكيان الإنسانى للشخص. فنحن نعيش فى عالم لا مرئي، وما نراه أقل من القليل.

يتكون الإنسان من جسد مادى به النفس والروح، النفس تستخدم حواس الجسد المادى لتتصل بعالمنا المادى، ولها حواسها الأخرى فتستخدمها للإتصال بالعوالم الغير مادية الغيبية وهي تستخدم قوى خفية غيبية للتأثير فى الماديات سلبا وإيجابا، منها فى الخير البركة ومنها فى الشر الحسد. الروح هى مصدر الحياة لكل من الجسد والنفس وبموت الجسد يفارق الإنسان الحياة الدنيا ويبقى للإنسان بعد ذلك نفسه وروحه ويسمى شبحا وهو فى درجة أعلى من درجة عالم الجن. الغيب المطلق هو الذي لا يستطيع البشر أن يصلوا إليه، ولا إلى معرفته، مثل الله تبارك وتعالى، هذا من الغيب المطلق، الملائكة والعرش من الغيب المطلق، كذلك أحوال البرزخ أحوال الناس في القبر، فالقبر يكون فيه المسلم والكافر وفيه البر والفاجر والمطيع والعاصي، فيه من ينعَّم وفيه من يعذب في القبر الواحد، هل نستطيع بوسائلنا معرفة ذلك؟ هذا من الغيب المطلق. هل يعرف أحد مصيره أو مصير أولاده؟.

أما الغيب النسبي مثلاً الطقس، أو المناخ، أو قضية الجيولوجيين وهى هل يمكن أن نعرف عمر الصخرة كم سنة، فهذا ليس غيباً مطلقاً. التنبؤ بالأرصاد الجوية هذا ليس غيباً مطلقاً، هذا غيب نسبي وله وسائل. عندما يعرف أن هناك منخفض جوي في أوروبا يصل هنا بعد كذا وقد يتخلف، فهذه ليست غيباً مطلقاً، بل من الغيوب النسبية، فالإنسان يستطيع أن يصل إلى الغيوب النسبية بوسائل معينة. ربنا ينزل الغيث، هذا ليس غيباً مطلقاً، فمن الممكن أن

نعرف أن المطر سينزل بعد كذا ويصدق هذا، وأحياناً يتخلف لأنه ليس هناك وسائل تعطي نتائج صحيحة ١٠٠%.

إن العقل يتفاعل مع الغيبيات بالرغم من عدم ارداكه الكلى بها وهو يرفع سقف مدركاته التخيلية. ومهمة الفكر العقلاني لن تكون هذه القائمة على إنتاج الأفكار الحية ذات الخصوبة المعرفية، والقائمة على استحداث المفاهيم العصرية وتحريك المعادلات وكسر اليقينيات التلقينية والتخلص من هيمنة الثقافة الغيبية وقداسة المعارف التراثية، سهلة على مَن أخذ على عاتقه انتهاج هذا المسلك التحليلي العقلاني والنقدي والتداولي مع الأفكار ومنتجات الحداثة الفكرية. ولذلك ستجد كل هذه التحولات التنويرية والفلسفية ذات الفاعلية التغييرية رفضاً ومقاومة وتعنيفاً من قِبل أولئك الذين اعتادوا على عدم البحث عن المشكلة والعلة في أفكارهم، ويرفضون بالتالي التوجه المباشر لتشخيص الأمراض التي تستوطن ثقافتهم ويمتنعون عن مجرد التفكير في أن المسألة تحتاج نقد الثقافة من الداخل ومعرفة مواقع الخلل فيها. وكذلك تلقى الرفض من قِبل أولئك الذين لا يريدون تحمل مسؤولية فشل أفكارهم وثقافتهم في التماهي المنطقي والعقلاني والتداولي مع واقع الحياة العصرية.

الغيب والمولود

من منا أختار أبيه أو أمه؟ من منا أختار طريقة أتكائه داخل رحم أمه؟ ومن منا أختار فصيلة دمه، أو لون بشرته أو لون عينيه؟ كل هذا تم دون أى تدخل من المولود ولكن دوره هو الرضا والايمان بالخالق وقدراته. من الذى أختار زمان أو مكان ولادته؟ من الذى أختار حجم أعضائه الداخلية أو سرعة سريان الدم داخل الشراين، وهكذا إلى ما لا نهاية. ومن الذى يحدد وظيفة كل عضو من الأعضاء؟. أيها المولود إنك فعل لخالق وأنت مسير ولست مخيراً فى أدواتك الوظائفية الداخلية؟ والإنسان كمولود هو مخلوق ضعيف يفترض أن يرضى بعطاءات الخالق. وتاريخ ميلاده وتاريخ موته لم يعلم عنه شيء هذا المولود. إن المولود هو حالة رضا

وكمال، فليس لديه أى خيار آخر وحتى لو حدث نزول للمولود مبكراً من رحم الأم فهو ينفذ مقدرات الخالق عليه.

الغيب والنوم

السؤال الأصعب والأسهل فى نفس الوقت كيف تكون الحالة الكاملة للإنسان الكامل (الروح والنفس والجسد) فى حالة النوم وفى كل مرحلة من مراحل النوم، فالنوم ينقسم إلى خمس مستويات. بل الجدير بالذكر أين يسكن النوم فى داخلنا أم هو يأتى من خارج الجسد وفى كلتا الحالتين أين كان يسكن ثم أين يذهب وما شكله؟ إن غيبيات الإنسان تفوق مادياته بكثير، بل إن أدراكه اللاواعى يمثل أضعاف إداراكه الواعى. ومن الغريب أيضاً أن الأحلام تعرض علينا ونحن نائمون فكيف نراها ومن يعرضها ويتحكم فى سرعتها وموضوعها وزمن عرضها ثم ما فائدتها؟

وعندما تنام على السرير نوماً مديداً، تضغط العضلات مع الهيكل العظمي على العضلات التي تحت الهيكل العظمي، فهناك مراكز ضغط في العضلات تُنْبئ الدماغ أن الضغط اشتد، والأوعية ضاقت سعتها، والتروية ضعفت، وحدث حس بتنميل وخدر. تذهب هذه المعلومة إلى الدماغ؛ يعطي الدماغ أمراً، فيتقلَّب النائم ثمانٍ وثلاثين مرة ذات اليمين وذات الشمال، فإدراك الضغطِ هذا قوةٌ إدراكية عند الإنسان.

وأحياناً يزداد اللعاب في فمك، وأنت نائم، وأنت غارق في النوم، وأنت ترى مناماً معيناً، تذهب إشارة من الفم إلى الدماغ، زاد اللُّعاب عن حده المعقول، يعطي الدماغ أمراً للسان المزمار، يغلق فتحة الهواء إغلاقاً محكماً، ويفتح فتحة المريء فتحاً واسعاً، فالإنسان يبتلع ريقه وهو نائم، لولاها لوجدت ريق الإنسان على الوسادة، وأنت نائم هناك عملية معقدة جداً للسان المزمار.

والجدير بالذكر أن الملائكة والجن والشيطان، يستطيعون أن يروا الإنسان ولكن

العكس غير ممكن فى معظم الأحيان. لو كانت المادة هي التي تسمع فلماذا لايسمع الإنسان وهو نائم بل وهو غير منتبه ومركز فى شئ أخر؟ فهذه المادة موجودة فما غابت ولكن هناك شيء آخر ساكن داخل هذه المادة، الساكن هو الذي انشغل بشيء آخر فابتعد عن حالة الوعى والانتباه. عند النوم، بعض الناس ينام وعيناه مفتوحتان أو يتكلم أو يمشى فتشخص من أهل الطب هذه الحالات بأنها حالات مرضية بالرغم من أن الوظيفة العضوية تمت بمعنى أن الإنسان تكلم من فمه أو تحرك برجليه ولكن أعتبر هذا مرضاً فما الفرق؟. والإجابة وببساطة هو عدم وجود الوعى والإدراك لما تتم من وظائف خلال النوم.

ولقد وجد العلماء حديثاً أن دماغ النائم ينشط أثناء النوم في معالجة المعلومات التي مرت عليه في النهار، ويتعلم مهارات جديدة ليكون جاهزاً لاستعمالها بعد النوم، وأن النوم هو ضروري جداً للتعلم. ويعجب العلماء من الطريقة التي يعمل بها الدماغ أثناء النوم، بل من الذي يجعله يعمل بهذا الأداء الرائع؟ ومن الذي يشرف على التنسيق بين الخلايا، وكيف تتم الذاكرة وعمليات حفظ المعلومات، إنها بحق آية من آيات الخالق تبارك وتعالى تستحق منا الوقوف طويلاً أمامها. إن الزمن يعد فيزيائي رابع للمكان حسب نظرية النسبية الخاصة، لكنه لا يعدو كونه وسيلة لتحديد ترتيب الأحداث بالنسبة لمعظم الناس. يعبر الوقت عن المسافة الزمنية الفاصلة بين الأحداث أو التعبير عن نقطة ما على الخط الزمني. وحدات قياس الوقت والزمن تشمل الثانية والدقيقة والساعة واليوم والأسبوع، كما تستخدم كسور هذه الوحدات للتعبير عن الوقت أيضا، أما الشهور والسنين فإن إستخدامها كوحدات لقياس الزمن فهو غير دقيق بالرغم من شيوعه، وذلك لإختلاف أطوال الشهور وأطوال السنوات.

نعم الله سبحانه وتعالى على عباده كثيرة لا تحصى وأحد أعظم هذه النعم نعمة النوم. وأكثر من يشعر بأهمية هذه النعمة من يعاني من مشاكل واضطرابات في النوم. فالنوم يعطي الجسم الراحة التي يحتاجها بعد جهد يوم كامل لكي يستعيد نشاطه وهدوءه لليوم التالي. والإنسان الطبيعي يقضي حوالي ثلث حياته نائما، فالذي بلغ الستين عاما يكون قد قضى حوالي

عشرين عاما وهو في حالة النوم. وخلال هذا الوقت الطويل تحدث العديد من التغيرات والوظائف العضوية الهامة للجسم من إعادة بناء لأنسجة الجسم وإفراز هرمونات وغيرها، ويحصل الكثير من أعضاء الجسم على راحته كالقلب والدماغ وغيرها. وآلية النوم عملية معقدة ترتبط فيها مختلف الأعضاء ارتباطا وثيقا. وقد تحدث بعض الاضطرابات العضوية أو النفسية أو السلوكية التي تؤثر على آلية النوم وينتج عنها اضطرابات في النوم. وتعتبر اضطرابات النوم أحد أكثر المشاكل الطبية شيوعا. فالكثير من الأمراض العضوية المعروفة تؤثر على النوم، والنوم الغير صحي يؤثر بدوره على صحة الإنسان.

ماذا يرى الإنسان من شكله

كم يرى الإنسان من جسمه؟ إن أى انسان لا يرى ألا الطبقة الخارجية من الجلد المغطى للجسم ومن الأمام فقط دون رؤية حتى هذه الطبقة بالنسبة للوجه والباقى هو غيبى بالنسبة للإنسان، وطبعاً بدون استخدام الضوء والمرآه لروية الجمال الشكلى للوجه فالإنسان يرى الجمال لغيره من الناس و لا يرى جمال شكله. والسؤال الذى يرد للذهن هو لماذا خلق الله الإنسان وجعله سيد المخلوقات،وأشرف الموجودات وجعله يرى خلق الله فى غيره شهادة عين ولا يرى خلق الله فى جسده إلا قليل؟ ولقد خلقه الله في أجمل صورة وأحسن تقويم، وركّب فيه جميع الأعضاء التي يحتاج إليها، ومكّن هذه الأعضاء من القيام بوظائفها على أكمل وجه،و من دون أي تدخل من الإنسان في ذلك لا بتوجيه ولا إرشاد ولا أمر ولا نهي.

ونأتى للرأس فنحن نرى بعين لا نراها ونسمع بأذن لا نراها ونتكلم ونأكل بفم غير مرئى. ونتنفس نشم بأنف لا نراه. ناهيك عن التفاعلات الكيميائية والكيموحيوية من إنزيمات وهرمونات ودروة كربس وغيرها من دورات داخل الإنسان تحدث دون علم منه أو تحكم فيها، و يزداد الغيب المغلف للإنسان بالدم والأوردة والشرايين. ولن نتكلم عن الإشارات الكهربية العصبية التى تتحدى سرعة أى جهاز كومبيوتر حالى فى درجة الاستجابة السريعة حتى لو كان سوبر كبيوتر.

بل أن أكثر الأعضاء الداخلية للإنسان تقوم بوظائفها من دون أن يشعر الإنسان بها وبعملها،كما هو الحال في المعدة وهضمها للطعام، والكبد واستخلاصه المواد النافعة من الغذاء،والقلب وضخه الدم إلى جميع أجزاء الجسم وتزويدها بالغذاء والأكسجين، إلى غير ذلك من المهام التي تزاولها الأعضاء من دون أن يشعر بها الإنسان إطلاقاً.

كما أن الإنسان في إحساسه بالتعب والإرهاق،والجوع والعطش، وشعوره بالحاجة إلى النوم والراحة،والطعام والشراب،وكذا تحرك الغريزة الجنسية لديه وما شابه ذلك من أمور، هو غير محتاج إلى معلم يعلمه ذلك، بل أنه يحس بهذه الأشياء بنفسه من دون أي تدخلات خارجية مهما كان نوعها.

فالإنسان هو كتلة غيبية داخلية، ومادة واعية، وبالرغم من قدرات الإنسان إلا أنه يعرف أن الكون المتسع الملئ بمليارات النجوم والكواكب غيب، وقيعان البحار والمحيطات العميقة غيب، والزمن المطلق والنسبى غيب، والروح غيب، والنفس غيب، والعمارة الداخلية للإنسان غيب، والتفاعلات الكيميائية والحيوية داخل جسم الإنسان غيب، والإنسان قبل دخوله رحم أمه هو غيب. ويأتى السؤال لماذا لايؤمن الإنسان بالغيب بعد كل هذا الغيب الذى يعيشه من داخله وخارجه.

الإنسان بين داخله وخارجه

والناظر من لب الأرض على سطحها يجد أن هناك رقعة من الصفائح الصغيرة جداً والرقيقة جداً كقشرة البرتقالة نفسها وهذه الصفائح تسبح فى بحر من الصخور المنصهرة ذات الحرارة التى ليس للإنسان قدرة على مجاراتها أو التكيف معها، وهذه الصفائح إلى فناء ولكن يجد من عليها يتفاخر بقوته الزائلة وبجبروته الكاذب بل ويتصارع فوقها البشر لامتلاك قطعة أرض من التربة السطحية التى أسفلها ما هو إلا واحة من نار مستعرة وقودها الحجارة، فلماذا كل هذا الطمع ولماذا كل هذا الاندفاع للهاوية البشرية؟؟ إن الإنسان المادى ظلوم جهول .

أما لو نظرنا فى داخل الإنسان نجد نظماً متنوعة وكل نظام له آلية ووظيفة مختلفة ولكنها جمعياً مبنية من وحدة أساسية واحدة وهى الخلية والتى خلق منها الله المخ والكلى والكبد والدم، بل وخلق منها ما هو صلب مثل العظم والجمجمة وما هو سائل مثل الدم بدقة تكوينة، وخلق منها ما هو أملس وما هو ذو سطح متعرج. أنها تنويعات لا نهائية، أنها نعم لا تحصى ولكنها ورغم كل هذا التباين فهى نظم متكاملة ومنضبطة يحتويها فراغ الجسم المظلم، ولكن وبوجود ميكروب مرض واحد يحدث اضطراب فى نظام معين أو آلية محددة تنشأ عنها تغيرات فى باقى الأنظمة. وقد لا تقدر عليها كل الأنظمة الدفاعية الهائلة لدى الإنسان ويمرض فأين هذا الكائن الضخم الجبار على من حوله من هذا الميكروب الغير مرئي بالنسبة للعين المجردة؟

إن الابن موجود فى غيب ظهر أبيه قبل زواج الأب نفسه، وعندما تحين بداية تكونه يدخل غيب النطفة لرحم الأم فى ظلام الرحم الضيق وتبدأ فى تغذيته بأنبوب الحياة التى هى تسمى بالحبل السرى وبصورة لا إرادية، ويبدأ فى الانقسام ليصل فى النهاية لطور كمال النمو للجنين ليخرج مرة أخرى من ظلام رحم الأم وينقطع حبل الحياة مع الأم ليبدأ الانتقال إلى نور الأرض يعيش عليها ويأخذ وينضج ويكبر. ثم تأتى ساعة المنية ليخرج من الأرض بمتاعها وما تحصل عليه تاركاً كل شئ، ويدخل ظلمة القبر لتبدأ ديدان الأرض فى أخذ كل شيء منه من داخل جسمه ليتحلل ولا تبقى منه إلا عظمه صغيرة فى آخر العمود الفقرى والتى ثبت علمياً حديثاً أنها لا تفنى مع الزمن. ويمكن تلخيص هذه الصورة الاعتيادية لكل إنسان بدخوله للحياة يأخذ ما يعينه عليها من رحم الأم، وعندما يغادرها لا يبقى له شيء مما أخذه فهو من ظلام إلى ظلام. وتتبادل الأدوار فالإنسان يكون طفلاً ثم شاباً وعند زواجه يسأل عما يملكه من شهادات وأموال وأخلاق وسلوك مع المجتمع العائلى والزملاء كبيئة محيطة، ثم تتزوج ولو أراد الله يصبح أباً ثم جداً لأحفاد (أولاد أولاده)، وبذلك تكمل دورته فى الحالات الطبيعية. ومن الغريب أن الإنسان يولد عارياً تماماً ويغسل وينظف ثم يلف فى ملابس نظيفة ليستره أهله ثم يؤذن فى أذنه بعد الولادة مباشرة، وعند الوفاة تخلع عنه ملابسه ويصبح عارياً كيوم ولادته أمه، ويغسل ويلف فى قطعة من القماش ليستر الإنسان ويصلى عليه بدون آذان ليكمل ما بدأه، ثم يدخل القبر الضيق المظلم ويتم سؤاله عن ربه ودينه. ولو كان

الإنسان خيراً فهو قد مد أحبال سريه كثيرة له بعدد أعماله الخيرية التى لا تنقطع حتى بعد وفاته، من أولاد أو أهل يدعون للإنسان أو صدقة جارية تجعله يجنى الخير حتى بعد وفاته بدون توقف بأذن الله.

أن السلامة فيها ترك ما فيها النفس تبكى على الدنيا وقد علمت
فالموت لاشك يفنينا ويفنيها لاتركنن إلى الدنيا وما فيها
والجار أحمد والرحمن ناشيها وأعمل لدار غداً رضوان خازنها